# الملاقات

د. أوسم وصفي

ophir

Copyrighted Material
Ophir Printers & Publishers

**سلسة ١٨٠ درجة- العلاقات**
الطبعة العربية الأولى ٢٠٠٨
حقوق الطبع محفوظة

Arabic Edition Copyright © 2008 by Ophir Publishing, a division of Jongbloed bv – Holland.

All rights reserved. No portion of this book may be reproduced, stored in a retrieval system or transmitted in any form or by any means – electronic, mechanical, photocopy, recording or any other – except for brief quotations in printed reviews, without prior permission of the publisher.

أوفير للطباعة والنشر
ص.ب. ٣٠٦٢، عمان ١١١٨١، الاردن
هاتف: ٧٦٨ ٥٦٦٥ ٦ ٩٦٢+
فاكس: ٧٦٨ ٥٦٣٩ ٦ ٩٦٢+
Email: info@ophir.com.jo
www.ophir.com.jo

رقم الإيداع: ٢٠٠٨/١٢/٤١١١
ISBN: 978- 90- 5950- 078- 5

جميع الحقوق محفوظة، لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب، أو أي جزء منه، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقلها، أو استنساخه بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي مسبق من الناشر.

Copyrighted Material
Ophir Printers & Publishers

التدقيق اللغوي: واثق حدادين

# فهرس المحتويات


**الجزء الأول: أساسيات العلاقات**

الفصل الأول: مُبَرْمَجون للتواصل ٦

الفصل الثاني: الذكاء الاجتماعي ١٨

الفصل الثالث: توازن العلاقات ٣٢

**الجزء الثاني: النضوج في العلاقات**

الفصل الرابع: العلاقات مواسم ٥٠

الفصل الخامس: المراهقة والعلاقات ٦٤

الفصل السادس: لقاء مع مدمنة علاقات ٨٢

الفصل السابع: الرشد والنضوج ١٠٠

خاتمة ١٠٨



Copyrighted Material
Ophir Printers & Publishers

**عندما** وصلت ابنتي إلى سن الثالثة عشر، سن المراهقة، بدأنا نشعر أنا ووالدتها، بأن الأمور تغيرت ولن تعود كما كانت. لن تعود ابنتنا كما كانت، تلك الطفلة الصغيرة التي نأخذها معنا إلى كل مكانٍ ونحن نتوقع دائمًا قبولها واستمتاعها بوقتها، فقط إذا تأكدنا من وجود أطفال، أي أطفالٍ، تلعب وتلهو معهم. الآن صار لها صديقاتها المقربات اللاتي ترغب في قضاء الوقت معهنَّ بالذات وبالطريقة التي يُرِدْنها، وفي الأماكن التي يخترْنَها.

**كان علينا في ذلك الوقت أن نكون مستعدين للاقتراب لإشباع حنينها، وحنيننا للماضي، وفي نفس الوقت نكون مستعدين للابتعاد بسرعة للسماح بالشخصية الوليدة بأن تتكون دون أدنى تهديد.**

وبالرُّغم من فرحنا بنموها إلا أن بعض المشاعر «المُرهِقة» فرضت نفسها علينا وعليها. كان علينا أن نعترف أننا كوالدين كنَّا نعاني من بعض مشاعر «الفقدان» فالنمو يحمل معه فقدانًا: فقدان القديم واستقبال الجديد. عندئذٍ تذكَّرتُ كيف شاركتني إحدى الأمهات منذ عدة سنوات عن شعورها بالفرحة الممزوجة ببعض الألم عندما تعلَّم ابنها الأكبر أن يربط سيور حذائه بنفسه. وقتها لم أفهم مشاعر الألم، فكانت ابنتي الكبرى وقتئذٍ تتعلم أن تخطو خطواتها الأولى وكنت أفرح كلما كانت تفعل شيئًا بنفسها.

ولم تكن المشاعر المُرهِقة من نصيبنا وحدنا، فابنتنا أيضًا عندما تستشعر فينا الحنين إلى الماضي، كانت تشعر بشيءٍ من الذنب، كما أنها، كسائر المراهقين والمراهقات، كانت تشعر أحيانًا بنفس الحنين إلى الطفولة، ولكن هذا الحنين سرعان ما تطغى عليه الرغبة الفطرية القوية لتحقيق الذات

Copyrighted Material
Ophir Printers & Publishers

الجديدة. لقد كان واجبًا علينا أن نشرح لها أننا فخوران بنموها، وأننا لا نشعر بالجرح من استقلاليتها، وأنها لا ينبغي أن تشعر أبدًا بأيِّ ذنب. هذه هي المراهَقَة!

تمتد مرحلة المراهقة من بداية البلوغ (١٢-١٤سنة) وتستمر حتى يبدأ الإنسان مرحلة الرشد المبكر (٢٠-٤٠ سنة). الهدف التطوري الأساسي للإنسان في مرحلة المراهقة هو تحقيق هويته المستقلة. والهوية هي الإحساس الذاتي باكتمال الشخصية الذي يحدث بين (١٨-٢٠ سنة) وذلك انعكاسًا لِما يحدث على المستوى العصبي: إذ يصل المخ إلى حجمه ووزنه النهائيين، ويكتمل التمايز الوظيفي لمراكزه ومساراته المختلفة.

بينما يشكل الوالدان في هذه المرحلة مصدرًا أساسيًّا للإرشاد والقيادة، إلّا أن أحد أهم صراعات المراهق في هذه المرحلة هو أن يحقق الاستقلال عنهما لكي يؤكد شخصيته الفريدة. فكما يحاول الفطيم (سنة ونصف إلى ٣ سنوات) تحقيق كيانه المنفصل جسديًّا عن أمه من خلال حركته الدائبة وعناده وارتباطه بالأب، يحاول المراهق أن يحقق هويته المستقلة بالاهتمام بعلاقاته وصداقاته خارج الأسرة. صحيحٌ أنه لا يزال يعتمد على أسرته ماديًّا ويتبع مبادئهم ومعتقداتهم الأساسية لتحقيق الاستقرار النفسي اللازم لنموه، إلا أنه يسعى لتكوين آراءٍ شخصيةٍ منفصلةٍ عنهم وذلك باستخدام المساندة والتأييد اللذين يحصل عليهما عبر صداقاته مع أقرانه.

هذا بطبيعة الحال يُعرِّض المراهقين لما نسميه «ضغط الأقران» (Peer Pressure). وهذا الضغط نابعٌ من احتياج المراهقين لمساندة رفقائهم

Copyrighted Material
Ophir Printers & Publishers

لشخصياتهم الوليدة وآرائهم الجديدة. في هذه المرحلة، إن كان الآباء والأمهات يمارسون الضغط المباشر من خلال السلطة الأسرية، فإن الأقران من المراهقين والمراهقات يمارسون ضغطًا غير مباشر، فهم لا يلومون ولا ينتقدون، ولكنهم يعلنون موافقتهم أو عدم موافقتهم من خلال الصداقات. هم لاَ يقبَلون داخل «الشلَّة» إلا من يتوافق مع ميولهم واهتماماتهم وآرائهم، وربما نوعية مظهرهم وملابسهم أيضًا.

## أزمة الهوية

صاغ عالم النفس السويدي الشهير إيريك إريكسون (Eric Ericsson) تعبير «أزمة الهوية» (Identity Crisis) للإشارة إلى مرحلةٍ من العمر تتميز بالاستكشاف والتحليل العميق للخيارات الكثيرة المتاحة أمام المراهق لكي يختار كيف تكون هويته. ويقول إريكسون عن الهوية: «إنها ذلك الشعور الداخلي بالاستقرار في رؤية الإنسان لنفسه والعالم والآخرين، والذي ينعكس على السلوك والعلاقات بصورةٍ مجيدةٍ من عدم الانحصار في النفس».[٢١] وغالبًا ما يكتمل هذه الشعور بالهوية في عمر العشرين. أما أزمة الهوية فهي تلك الأزمة التي يعيشها المراهق قبل أن يحقق هذه الهوية المستقرة.

وقد شبه جيمس دوبسون (James Dobson) الكاتب المعروف في مجال

Copyrighted Material
Ophir Printers & Publishers

(21) Erikson, E.H. (1970). Reflections on the dissent of contemporary youth., International Journal of Psychoanalysis, 51, 11- 22.

الأسرة[٢٢] مرحلة المراهقة بالدقائق السبع التاليةِ لإطلاق صاروخ إلى الفضاء، والتي يكون فيها الصاروخ مغلفًا بسحابةٍ من الأيونات تمنع الاتصال به تمامًا، وبعد انقشاع هذه الغيمة، يعود الإتصال مرةً أخرى. إن كان الصاروخ الفضائي محاطًا بسحابة من الأيونات، فالصاروخ الإنساني (أي المراهق) يكون محاطًا بسحابة من الهورمونات وعددًا هائلًا من المخاوف والأسئلة عن هويته، ومستقبله، وماهية الوجود كله.

من الطبيعي أن يعود المراهق إلى حالةٍ من الانحصار في النفس في هذه المرحلة، فهي المرحلة النهائية قبل الإنطلاق إلى عالم الرشد والنضوج الذي ينبغي أن يعيشه الإنسان في «حالةٍ مجيدةٍ من عدم الإنحصار في النفس» على حد تعبير إريكسون.

وباستعراض حياة الإنسان منذ الولادة حتى مرحلة الرشد (Adulthood) يمكننا أن نلاحظ تراوح الإنسان بين مراحلٍ من الإنحصار في النفس، ثم الخروج خارج النفس نحو الآخرين، ثم العودة إلى النفس للانطلاق منها مرةً أخرى.

في السنوات الثلاث الأولى (مرحلة الرضاعة) يكون الإنسان منحصرًا في نفسه واحتياجاته، ثم تأتي مرحلة الطفولة (٣-١٣ سنة) التي فيها يخرج الطفل إلى الأطفال الآخرين ليلعب ويلهو ويتعلم معهم ونادرًا ما يفكر في نفسه، ثم يعود إلى نفسه في مرحلة المراهقة ليكتشف هويته، ثم ينطلق إلى الآخر والمجتمع وذلك عندما يصل إلى مرحلة الرشد والنضوج.

Copyrighted Material
Ophir Printers & Publishers

(22) J. Dobson, Parenting isn't for Cowards, (Nashville: Thomas Nelson, 1997)

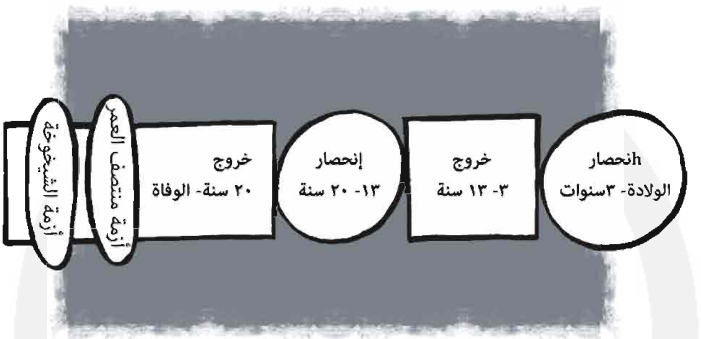


شكل (٦)
مراحل العمر مع توضيح الميل إلى الانحصار في
النفس والخروج خارج النفس في العلاقات

هذا بالنسبة إلى النمو الطبيعي للإنسان، والذي يحدث عندما يعيش في ظل ظروفٍ مواتيةٍ من الحب والتنشئة السليمة. لكن بسبب التنشئة غير السليمة وتجاهل الاحتياجات والإساءات النفسية التي قد تحدث، يتعطل هذا النمو فيظل الإنسان منحصرًا في نفسه مدى العمر ولا يصل أبدًا إلى الرشد الوجداني، رغم وصوله لسن الرشد زمنيًّا. كما أن الإنسان قد يختبر العودة إلى الانحصار في النفس في مراحل متقدمة من العمر وذلك في صورة ما يسمى بأزمة منتصف العمر التي تصيب حوالَيْ ١٠ ٪ من البشر في سن الرشد المتوسط[٢٣] (٤٠-٦٠) وفيها يعود الإنسان إلى مراهقةٍ متأخرةٍ فينحصر

(23) Midlife Without A Crisis, Washington Post, Monday, «April 19» April 19, 1999 - http://en.wikipedia.org/wiki/Midlife_crisis

في نفسه ويرغب في التغيير والانسلاخ عن أسرته وعن حياته كلها. كما أن الإنسان يمكن أن يعود إلى الانحصار في نفسه في مرحلة الرشد المتأخر (ما بعد الستين) في صورة اكتئابٍ وخوفٍ من الموت وربما يصبح أنانيًّا منحرف المزاج مثل الأطفال.

## من نفس الجنس إلى الجنس الآخر

يميل الأطفال حتى سن المراهقة إلى تكوين صداقاتٍ حميمةٍ مع نفس الجنس. يظل الأمر على حاله حتى بعد الدخول في المراهقة، لكن في مرحلة المراهقة تضاف نوعيةٌ جديدةٌ من العلاقات تضيف إلى صراع المراهقين والمراهقات، وهي العلاقة بالجنس الآخر.

هنا يبدأ المراهقون والمراهقات في اختبار عنصرٍ جديدٍ يضاف إلى الصداقات والعلاقات وهو البعد الجنسي. لقد كانوا يشعرون دائمًا بالفرق بين الأولاد والبنات، لكن هذا الفرق لم يؤرقهم كثيرًا بل كانوا يتغلبون عليه بأن يكونوا في مجموعاتٍ معًا من ذات الجنس؛ وذلك، ببساطة، لأن الصداقة كانت مبنيةً على الأنشطة المشتركة فقط ، وواضحٌ جليًّا أنَّ الأولاد والبنات لا يتفقون في نوعية أنشطتهم وألعابهم. أما الآن فبالرُّغم من أن الأولاد لا يزالون لا يشاركون البنات اهتماماتهن و البنات لا زلن يَنفُرن من اهتمامات الأولاد، إلا أن الأولاد يبدأون في الاهتمام بالبنات أنفسهن والرغبة في لفت أنظارهن، والعكس صحيح بالنسبة إلى البنات أيضًا.

Copyrighted Material
Ophir Printers & Publishers

## ليحيا الاختلاف! لكن... كيف يحيا؟

انتشر الشعار الفرنسي «ليحيا الاختلاف» !(Vive La Difference) كنوع من التقليد لشعار «تحيا فرنسا» (Vive La France)! وذلك تأكيدًا على اختلاف الثقافة الفرنسية في عالم تسوده الثقافة الأمريكية.[٢٤] ثم سرعان ما استُخدِم هذا الشعار كشعار للاحتفال بالرغبة الجنسية القائمة على الاختلاف بين الرجال والنساء ليس فقط جسديًّا وهرمونيًّا، وإنما نفسيًّا ووجدانيًّا أيضًا.

يَذكُر الأصحاح الثاني من سفر التكوين الذي يتكلم عن بدايات الإنسان، قصة خلق الإنسان ذكرًا وأنثى، آدم وحواء. وعندما خلق الله حواء وأحضرها إلى آدم، قال آدم هذه الكلمات التي تنسج في اللغة الأصلية شعرًا غنائيًّا غايةً في الجمال، بل لعلها أول أغنيةٍ عاطفيةٍ!

«هَذِهِ الآنَ عَظْمٌ مِنْ عِظَامِي وَلَحْمٌ مِنْ لَحْمِي. هَذِهِ تُدْعَى امْرَأَةً لأَنَّهَا مِنِ امْرِءٍ أُخِذَتْ» لِذَلِكَ يَتْرُكُ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيَلْتَصِقُ بِامْرَأَتِهِ وَيَكُونَانِ جَسَدًا وَاحِدًا (تك ٢: ٢٣- ٢٤)

هنا نلاحظ التشابه في: عَظْمٌ مِنْ عِظَامِي وَلَحْمٌ مِنْ لَحْمِي و نلاحظ الاختلاف في كونها امْرَأَةً وليس امْرِءٍ وهذا هو مصدر رغبة الرجل والمرأة في الالتصاق ببعضهما البعض.

Copyrighted Material
Ophir Printers & Publishers

(24) Ross Steele, The French Way: The Keys to the Behavior, Attitudes, and Customs of the French ( N.Y., McGraw-Hill, 2006) p. 122

## الرومانسية والجنس

هذه الرغبة في الالتصاق هي رغبةٌ «رومانسيةٌ» في التصاق قلبين واندماج شخصيتين في بعضهما البعض للدرجة التي تجعلهما وكأنهما قد خرجا من العالم الذي يعيش فيه البشر وأصبحا يعيشان وحدهما في عالمٍ خاصٍ من صنعهما، قد خُلِق لأجلهما فقط. وتتلخص كل الحياة في اللحظات التي يقضيانها معًا.

آدم هو .. وهي حنان[٢٥]
شافوا جنتهم بالإمكان
هما اتنين حبيبين.. نبض القلب وضيّ العين
سحر عيونهم يحيي قلوب
وابتسامتهم تمحي ذنوب
لو يوم لمسوا الصخر.. يدوب .. يدوب

من خلال علاقة الالتصاق الرومانسي التي تحدث، كما يقول الشاعر هنا: «بنبض القلب وضَيّ العين». بالابتسامة واللمسة الرقيقة، تتكامل الذكورة والأنوثة الوجدانية في شخصية الإنسان، ويجد الإنسان الكامل نفسه: بذكورته وأنوثته، بشجاعته وحنانه، بجلاله وجماله، بإقدامه واحتوائه.

Copyrighted Material
Ophir Printers & Publishers

آدم ضم الكون بحنان
ظهر الأخضر في الألوان

(٢٥) أغنية «آدم وحنان» للشاعر جمال بخيت. من فيلم «الآخر» إخراج يوسف شاهين انتاج ١٩٩٩

والإنسان أصبح إنسان
همست باسم الحب حنان

هذه العلاقة الرومانسية مرتبطةٌ ارتباطًا وثيقًا بالانجذاب الجنسي، فإن كانت الرومانسية هي الانجذاب بين الذكورة والأنوثة نفسيًّا، فالجنس هو الانجذاب بين الذكورة والأنوثة على الجانب الحسّي الجسدي.
وعندما نتكلم عن الجنس فإننا نكون قد دخلنا لأبعد عمقٍ في الالتصاق بين البشر. عندئذٍ لا يكون الالتصاق هنا على مستوى القلوب فقط، وإنما على مستوى القلوب والأجساد حتى أنَّ الجسدين لا يصيران واحدًا بالمعنى المجازي فحسب، بل نستطيع أن نرى الجسدين وقد صارا واحدًا في صورة الطفل أو الطفلة التي تحمل صورة كِلا الأبوين معًا في اندماج عجيب. عندئذ لا يكون الحب نظرة عين ولمسة يد وكلمة حب فقط، بل يتجسد الحب بشرًا سويًّا. وليس بشرًا سويًّا فحسب، بل أسرةً ومجتمعًا وثقافةً وحضارة.

نحن نقترب بذلك من مشيئة خلق الإنسان كله. لذلك فإن قرار الالتصاق سواء كان على المستوى الرومانسي أو الجنسي هو أكبر وأهم قرار يتخذه أيُّ إنسان.

Copyrighted Material
Ophir Printers & Publishers

## لتحترم الاختلاف!

إن كنّا نحتفل بالاختلاف ونفرح به وندرك أنَّ هذا الاختلاف هو أساس حياتنا كبشرٍ على الأرض، فيجب أيضًا أن نحترم الاختلاف ولا نحتفل به

فحسب، بل لا يكتمل احتفالنا به إلا باحترامنا له. لكنْ كيف يكون هذا الاحترام؟

لقد تناولنا في الفصل الثالث من هذا الكتاب مفهومًا أساسيًّا في العلاقات وهو الحدود. وذكرنا كيف أن هذا المفهوم مبنيٌّ على حقيقتين في البشر وهما: التشابه والاحتياج من ناحية، والتباين والاختلاف من ناحيةٍ أخرى. نحن نحتاج إلى الاقتراب لأننا متشابهون، لذا فنحن محتاجون بعضنا لبعض، ونحتاج أيضًا أن نحافظ على مسافةٍ وحدودٍ في اقترابنا، وذلك لأننا مختلفون وكل واحدٍ منّا يُعدُّ فردًا فريدًا ودولةً لها استقلالٌ وسيادة.

**كلما زاد الاختلاف زاد الانجذاب فيجب بالتالي في ذات الوقت أن يزداد الحرص في المحافظة على الحدود، وذلك للحفاظ على توازن العلاقات.**

ونلاحظ أن هاتين الحقيقتين هما الحقيقتان اللتان يُبنى عليهما الانجذاب الجنسي أيضًا. فالإنسان ينجذب جنسيًّا للإنسان وليس لأي كائنٍ آخر، وفي نفس الوقت ينجذب للكائن الإنساني المختلف عنه: إذ إنَّ الذكر ينجذب للأنثى والأنثى تنجذب للذكر[٢٦] لذلك كلما زاد الاختلاف زاد الانجذاب فيجب بالتالي أن يزداد في ذات الوقت الحرص في المحافظة على الحدود، وذلك للحفاظ على توازن العلاقات.

يبدأ المراهقون في الشعور بالإنجذاب للجنس الآخر وبالتالي يصارعون مع

(٢٦) قد يحدث اضطراب للتوجه الجنسي للإنسان فينجذب الذكر للذكور والأنثى للإناث فيما يسمى «بالجنسية المثلية» وهذا نتناوله في كتاب منفصل من هذه السلسلة.

نوعين من المشاعر: أوّلها الخجل من الجنس الآخر، وثانيها الرغبة في إثارة اهتمام الجنس الآخر. يخترق بعضٌ منهم حاجز الخجل ويُكوِّن علاقاتٍ «خاصةً» بالجنس الآخر. هذا ما يسمى في مجتمعاتنا «المصاحبة» كمصطلحٍ دارج، وهي أول درجة من «الارتباط» بين الشباب والفتيات. فيمكن أنْ يكون للشاب صداقاتٌ كثيرةٌ من الجنس الآخر وكذلك الأمرُ بالنسبة إلى الفتاة، لكن الجميع يعرف أن فلان «مصاحب» فلانة. أي أن هناك نوعًا من العلاقة الخاصة بينهما.

قد تظل هذه العلاقة في إطار المخابرات الهاتفية ودردشة الإنترنت، لكنَّها قد تتحوَّل إلى لقاءات خاصة في أماكن تسمح لهما بأن يعيشا لحظات الحب والرومانسية بعيدًا عن أنظار الناس. وبالطبع قد تتطور العلاقة الرومانسية إلى علاقةٍ جسدية.

هناك درجاتٌ من التحفظ وعدم التحفظ بين الأولاد والبنات. وهنا تلعب أُسَرُهم أدوارًا في تحديد مستويات التحفظ. المستوى الأول هو مستوى الإعجاب السرّي بين الأولاد والبنات والذي يبقى سريًّا ومن طرفٍ واحد، ويتغير من شخصٍ إلى آخر ثم ما يلبث أن يموت مع الوقت والاهتمام بأشياء أخرى في الحياة. في هذه الحالة يحافظ المراهقون على مشاعرهم/مشاعرهن الرومانسية والجنسية دون أي تفعيل حتى يبدأون في التفكير الجدي في الزواج. أما المستوى الثاني ففيه يجرؤ البعض أن يعبِّروا عن إعجابهم وانجذابهم بعضهم لبعض برسائل (وقد صار هناك الآن وسائط متعددة للرسائل سهَّلت من هذا الأمر الذي كان صعبًا في أجيالٍ سابقة). لكن تبقى هذه العلاقات في إطار مجموعةٍ أكبر ولا يُسمح للمراهقين، ولا

Copyrighted Material
Orbit Printers & Publishers

يسمحون لأنفسهم، باللقاء منفردين.

يقوم بعض المراهقين والمراهقات الذين يتمتعون بعلاقات وثيقة بالأبوين بالبوح لكلا الوالدين أو لأحدهما بهذه المشاعر، بينما يبقيها البعض الآخر سرًّا. ثم المستوى الثالث والذي يُسمَح للمراهقين فيه، أو هم يَسمحون لأنفسهم، باللقاءات الرومانسية، لكنهم يضعون لأنفسهم حدودًا جسديةً صارمةً (تصل أحيانًا إلى عدم الملامسة مطلقًا) وعادةً ما تكون الفتيات هُنّ حُماةَ هذه الحدود؛ ويحاول أغلب الفتيان اختراق هذه الحدود أو على الأقل جعلها أكثر مرونة. هذا بالطبع ناتجٌ من الاختلاف بين الطبيعة الأنثوية التي تميل لاستخدام الكلام للتعبير عن المشاعر والطبيعة الذكرية التي تميل للتعبير الجسدي عن الحب.

وعادة عندما يصِل المراهقون إلى المستوى الثالث يكون من الصعب ألا يتقدموا إلى المستوى الرابع الذي تحدث فيه تنازلاتٌ متواليةٌ حتى تبدأ الممارسات الجنسية (غير الكاملة). البعض يظل في المستوى الرابع، بينما يصل البعض إلى المستوى الخامس وهو مستوى الجنس الكامل. في هذا المستوى بالطبع تكون فرصة الحمل عاليةً جدًّا كما يكون هناك أيضًا فرصةٌ حقيقيةٌ لحدوث حمل في المستوى السابق أيضًا، أي في مستوى الممارسات الجسدية التي لا تصل إلى الجنس الكامل.

Copyrighted Material
Ophir Printers & Publishers

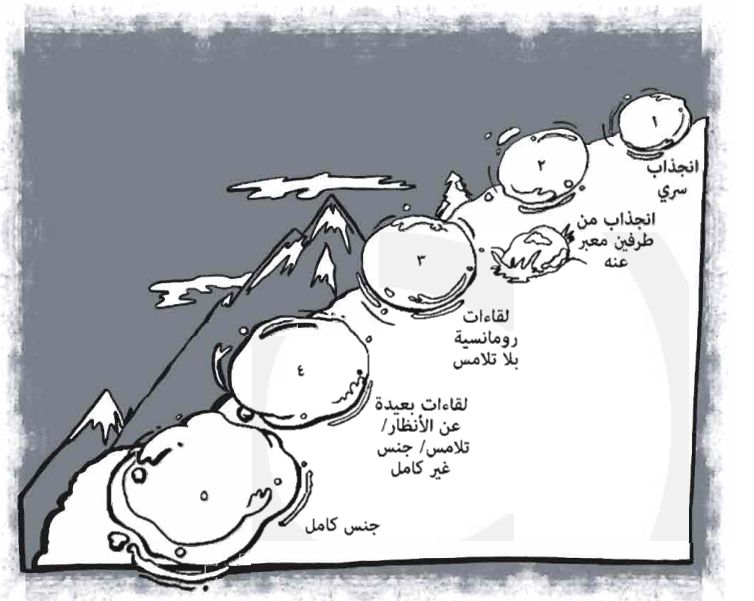


شكل (٧)

كرة الجليد

## أين تريد أن تضع الحدود؟

يعبر الرسم التوضيحي السابق عن عدة حقائق لاحظْتُها على مدار السنين من استماعي لقصص مراهقين ومراهقات وكيف يعبرون عن انجذابهم العاطفي والجنسي.

**الحقيقة الأولى:** هناك حافةٌ للجبل يصبح بعدها التحكم في كرة الجليد

Copyrighted Material
Ophir Printers & Publishers

أصعب جدًّا من قبلها. تمثل هذه الحافة ما يمكن أن نسميه: «الخطوة الحرجة» بمعنى أن ما بعدها يختلف تمامًا عمّا قبلها. هذه الخطوة هي خطوة قرار البدء بلقاءاتٍ خاصة بين المراهق والمراهقة اللذين يشعران بانجذاب رومانسي.

**الحقيقة الثانية:** بعد النزول من الحافة، تبدأ كرة الجليد بالنمو في الحجم كلما واصلت النزول. أي أن مجرد الاستمرار في مرحلةٍ يجعل المراهقين يدخلون تلقائيًّا في المرحلة التالية ويصعُب التوقف عند حدٍّ معين.

**الحقيقة الثالثة:** ربما يستطيع عدد كبير من المراهقين والمراهقات الاحتفاظ بالعلاقة عند المرحلة الرابعة (أي مرحلة الممارسات الجنسية غير الكاملة) دون الوصول إلى المرحلة الخامسة والأخيرة، إلا أن لهذه المرحلة في حدِّ ذاتها خطورتها، فهذه الممارسات وإن كانت ليست «جنسًا كاملًا» كما يُقال، إلا أنها جنسٌ على أي حال. ومادامت الإثارة وذروة النشوة الجنسية قد دخلتا في العلاقة، فإنها تصنع درجةً عاليةً من الالتصاق والوحدة بين الذكر والأنثى، إن لم تصاحبه ظروفٌ مواتيةٌ لاستمرار العلاقة نحو الزواج ( وهذا هو الحال غالبًا في هذه المرحلة من العمر) فإن النتيجة تكون جرحًا وجدانيًّا قد يترك أثرًا في الشخصية وفي نمط العلاقة بالجنس الآخر.

Copyrighted Material
Ophir Printers & Publishers

## ماذا لو تم لصق السيكر (Sticker)

ذات مرة كنت أتحدث إلى مجموعة من المراهقين والمراهقات وكانت أعمارهم تتراوح بين الرابعة عشر والسادسة عشر عن الحب والجنس.

في هذا الحديث شُبّهتُ أنواع الحب المختلفة بمجموعة من الصور تصور مشاهد مختلفة. والجنس صورةٌ من هذه الصور، إلا أن الصورة الخاصة بالجنس ذاتُ ظهرٍ شديد الالتصاق «ستيكر» لذلك ينبغي علينا، قبل أن نضع هذا الملصق، أن نكون متأكدين من المكان الذي نريد أن نضعه فيه، لأن تغييره سيؤدي إلى اهتراء الملصق وتشويه المكان الذي تم الإلصاق فيه. وكان المعنى المقصود هو ألا نسمح لأنفسنا بممارسة الجنس إلّا مع الشخص الذي سنعيش معه ونواصل معه هذه الممارسة طوال العمر. وعندما فتحتُ باب الأسئلة جاءني سؤالٌ مكتوبٌ يقول: « ماذا أفعل إذا كنت قد «لصقت الستيكر» بالفعل؟!»

الجواب بسيط. فعندما نتسرع ونلصق ملصقًا في مكان ما، ثم نكتشف أننا تسرعنا، فإننا نحاول أن نرفع الملصق من مكانه بحرصٍ شديدٍ كي لا يتمزق، ثم نحتفظ به إلى أن نستقر على المكان الذي نريد أن نضعه فيه.

عاشت دعاء طفولة بائسة، فقد كان أبوها مدمنًا على الخمر تنتابه نوباتٌ من الشك في سلوك أمها، فتحدث بينهما مشاجراتٌ عنيفةٌ تنتهي أحيانًا بتركه للمنزل أو بطرده لزوجته وأولاده السبعة، ومنهم دعاء من البيت بعد أن يوسع الجميع ضربًا مبرحًا تسيل بسببه دماؤهم ويخرجون إلى الشارع في منتصف الليل أحيانًا لا يدرون ماذا يفعلون وإلى أين يذهبون. في بعض الأحيان كانت تنجح توسلات دعاء وأخواتها في أن تجعل قلب الأب يتحنن قليلًا فيسمح لهم بالبقاء حتى الصباح، وأحيانًا كان ينسى، أو تفارقه النوبة فيتركهم وكأن شيئًا ما لم يحدث. لم يكن هذا كل شيء، فقد كان الأخ الأكبرُ لدعاء يقوم بمضايقتها ويتحرش

Copyrighted Material
Ophir Printers & Publishers

بها جنسيًّا أثناء نومها فتقوم فَزِعةً. وعندما تذهب وتشكو لأمها، كانت الأم تحاول تهدئتها أحيانًا، أو تقوم بانتهار الأخ الأكبر أحيانًا أخرى، وفي مراتٍ كانت تنفجر في البكاء تعبيرًا عن حزنها وعجزها، مما كان يجعل دعاء تميل لأن تحتفظ بهذه الأمور لنفسها خوفًا من أمها وخوفًا عليها في نفس الوقت، فلم تكن الأمور تُحتَمل.

كان هذا هو الحال عندما أتت دعاء مع أمها لمقابلتي. وبدأتُ مع دعاء جلسات مشورةٍ ومتابعةٍ استمرت حوالي ثلاث سنوات منذ أن كانت في الخامسة عشر وحتى صارت في الثامنة عشر. خلال هذه السنوات صارعتْ دعاء لكي تكمل دراستها في هذا الجو الأسري المضطرب. وبعد أن أنهت دراستها الثانوية والتحقت بالجامعة تعرفت بأشرف وهو شابٌ لطيفٌ بدأ في التودد لها ومحاولة مصادقتها. في البداية لم تكن دعاء قد انتبهت إلى ميلها للجنس الآخر حتى صار عمرها ثمانية عشر عامًا. فقد كانت مشغولةً بحزنها وفقدانها للحب والاستقرار الأسري. وشيئًا فشيئًا بدأ تعلُّقها بأشرف وسرعان ما تحولت علاقة الصداقة إلى علاقة حبٍ رومانسيةٍ ثم إلى علاقةٍ جسديةٍ حاول الإثنان كبح جماحها لكنهما لم يستطيعا. لقد كانت علاقة دعاء بأشرف نقطةَ الضوء الوحيدة في حياتها المظلمة، وواحةً من الحب ظهرت فجأةً في صحراء حياتها المليئة بالعنف والصراع والإساءات. لذلك اندفعت دعاء تشرب من هذا الحب بلا تعقُّلٍ كتائهٍ في الصحراء عثر على واحة غَنَّاء.

Copyrighted Material
Ophir Printers & Publishers

بدأتْ والدة دعاء تنتبه لهذه العلاقة. فالمخابرات الهاتفية لا تكاد تتوقف، ودعاء لا تترك الكمبيوتر طوال ساعات الليل والنهار في دردشةٍ متصلة.

اعترفت دعاء لأمها بصداقتها الخاصة بأشرف، لكنها بالطبع لم تَبُحْ لها باللقاءات الساخنة التي كانت تجمع بينهما في أماكن بعيدةٍ لا يراهما فيها أحدٌ. وعندما كنت أُنبه دعاء لاندفاعها الشديد في العلاقة كانت تقول باكية: « لا أستطيع التوقف.. علاقتي بهذا الإنسان هي الشيء الوحيد الذي يثبت لي إني إنسانةٌ ولي قيمة!»

كانت دعاء تدرك أن الاندفاع في التلامس والقُبل والممارسات الجسدية أمرٌ لا تُحمَد عقباه على المدى البعيد، لكنها لم تستطع التوقف. فاقترحْتُ عليها خطةً نحاول من خلالها أن «نرفع الملصق» بهدوء. أولًا: تغيير أماكن اللقاء من الأماكن التي لا يراهما فيها أحدٌ إلى أماكن عامة يكونان فيها ظاهرين أمام الناس. ثانيًا: تحديد مراتٍ في الأسبوع للقائهما. ربما مرتان في الأسبوع، ولوقت محددٍ لا يتجاوز الساعتين. ثالثًا: تتم هذه اللقاءات بمعرفة أمها بحيث تأخذها أمها إلى هذا المكان العام وتأتي بعد ساعتين لتصطحبها إلى البيت. رابعًا: تقوم دعاء بتنمية أنشطتها وعلاقاتها الأخرى بعد أن صارت علاقتها بأشرف هي كل ما في حياتها. خامسًا: تتعهد دعاء بأن تُبلِغني بأي كسر لهذه القوانين بمجرد حدوث ذلك. ومع الوقت والالتزام، أمكن السيطرة على هذه العلاقة التي قد تستمر حتى الزواج، وإن لم تستمر، فعلى الأقل لا يكون لجرح انقطاعها ألمٌ شديدٌ وجرحٌ غائرٌ في الشخصية.

Copyrighted Material
Ophir Printers & Publishers